



جمعية القرآن الكريم

حُبُّ النَّبيِّ ﷺ في القرآن والسُّنة

تأليف:
د. محمد عمر دولة

قدّم له وعلّق عليه:
الشيخ العلامة محمد علي الطريفي

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

حُبُّ النبي ﷺ

فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

كلمة الأمين العام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين. وبعد. . .

فإن من فضل الله علينا في (جمعية القرأن الكريم) أن يسر لنا شرف مراجعة الشيخ العلامة الداعية الرباني الفقيه المفتي الأديب اللغوي محمد على الطريفى لإصدارنا الثاني (حب النبي صلى الله عليه وسلم في القرأن والسنة). . .

وزاد من نعمة الله علينا حفاوة الشيخ الطريفى رحمه الله بهذا الكتاب وتعليقـــه علـــى مواضيع عديدة منه. . .

وإننا إذ نترحم على الشيخ العلامة الذي نتقرب إلى الله بحبه فإننا نحمد الله أن خصـــنا بأن يكون كتاب (حب النبي صلى الله عليه وسلم) الذي تقوم الجمعية بإصداره الأثر الوحيد الذي طبع للشيخ رحمة الله عليه.

ومما يزيدنا سعادة – رغم الفراق المر – أننا ودعنا الشيخ على هذه العقيدة الإسلامية المتمثلة في حب النبي صلى الله عليه وسلم – سائلين الله عز وجل أن يكون هذا بشرى وفألا لحسن الختام. . فقد فارق الشيخ الدنيا إلى حب النبي صلى الله عليـــه وســـلم (والمرء مع من أحب). . وإننا إذ نحمد الله على أن جعل أخر عهدنا بشيخ علمـــاء السودان (حب النبي صلى الله عليه وسلم) فنسأله تعالى – أن يجعلنا ممن اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه. . وأن ينور بهذا الكتاب للشيخ في قبره ويجعل قبره روضة من ريـــاض الجنة. . وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه وأن يجعله في صحائف حسناتنا جميعا – والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

د. عبد الرحمن محمد على سعيد

الأمين العام

تقـريـظ

الحمد لله ذي الخير والإفضال، والإكرام والإذلال. والصلاة والسلام على سيدِنا محمد عظيمِ الخِصال وسيدِ أهلِ الكمال. اللهمّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ عليه، وعلى جميع أصحابِهِ والآل.

أما بعد، فقد اطَّلَعْتُ على مُؤَلَّفِ ابنِنا محمد عمر دولة -الذي اختطَّهُ وسَجَّلَه- سماعاً ومراجعةً من مؤلِّفِهِ؛ فكان هذا المؤلَّفُ في حُبِّ النبيِّ ﷺ وسيرتِهِ الزكيّةِ ذا ضوءٍ وإشراقاتٍ تتقدمُ في قلوبِ المُحِبِّين لرسول الله ﷺ.

وكمْ امتلأ قلبي غِبْطةً بالدعائم التي أسَّسَ عليها المؤلِّفُ محبّةَ رسولِ اللهِ ﷺ فتلك الدعائم: الأسس العقديّة لحبِّ النبيِّ ﷺ وحقيقةُ حُبِّ النبيِّ ﷺ وعلامات حبِّ النبي ﷺ.

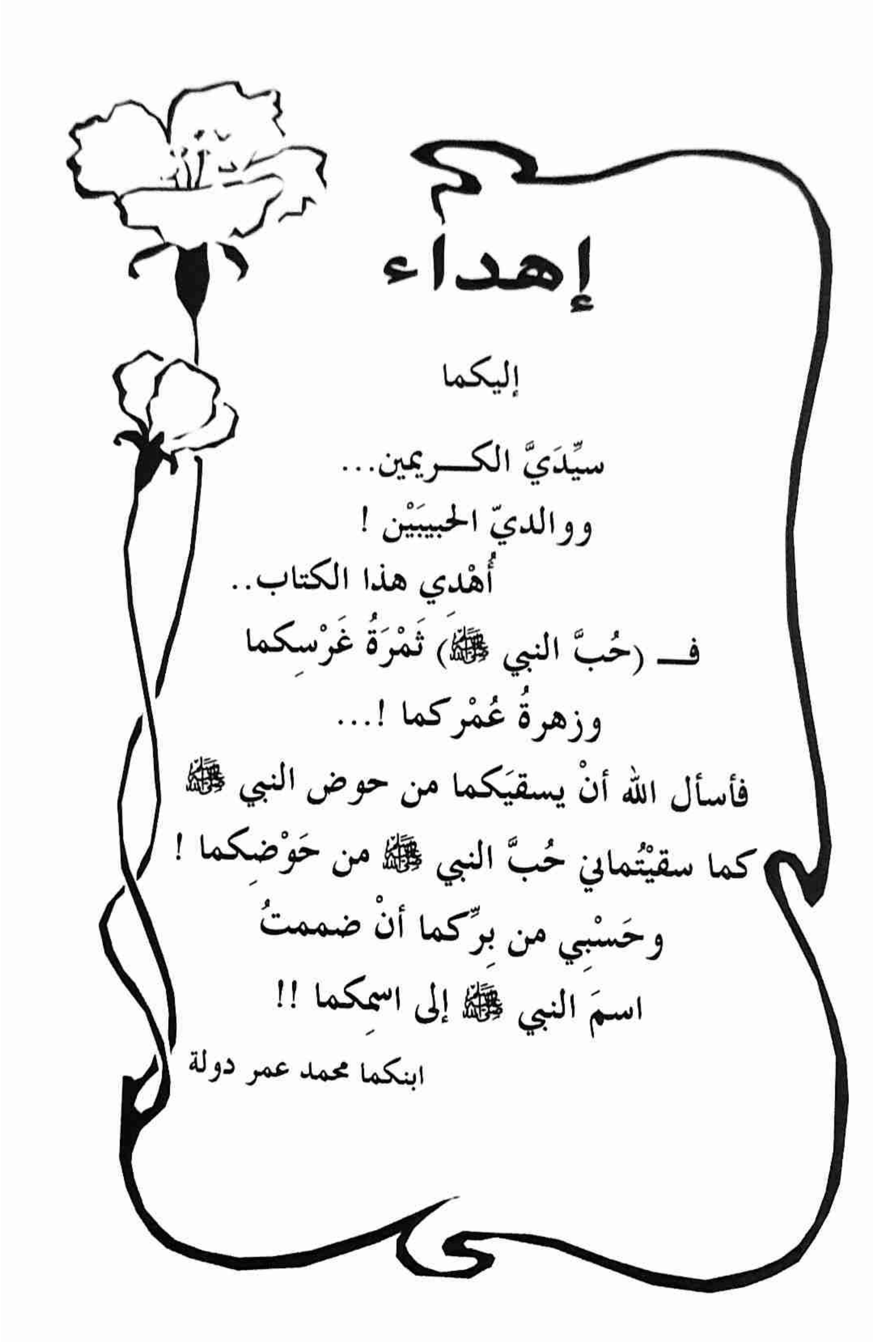
فكان لتلك الدّعائمِ وما صاحَبَها من بياناتٍ وشواهدَ وَقْعٌ عظيمٌ في نفسي، وإعجابٌ كبيرٌ؛ يجعل الإنسانَ سابحاً في خِضَمٍّ تترامى أطرافُهُ وتبعُدُ شواطئُهُ!

فجزى اللهُ ابنَنا محمد عمر دولة خيرَ الجزاء على ما سجَّلَهُ من سيرةِ رسولِ اللهِ ﷺ والصلاة عليه. وأسأل الله أن ينفعَ به كلَّ من اطَّلَعَ عليه وذاكرَهُ وداومَ عليه. هذا ولا نُزَكِّي على اللهِ أحَداً.

الشيخ /محمد علي الطريفي

عضو مَجْمَع الفِقْهِ الإِسْلامِيّ بالخرطوم

ورئيس لجنة الإفتاء بجامعة القرآن الكريم (سابقاً)



إهداء

إليكما

سيِّدَيَّ الكـــريمين...

ووالديّ الحبيبَيْن !

أُهْدي هذا الكتاب..

فـ (حُبَّ النبي ﷺ) ثَمْرَةُ غَرْسِكما

وزهرةُ عُمْركما !...

فأسأل الله أنْ يسقيَكما من حوض النبي ﷺ

كما سقيْتُمانيَ حُبَّ النبي ﷺ من حَوْضِكما !

وحَسْبِي من بِرِّكما أنْ ضممتُ

اسمَ النبي ﷺ إلى اسمِكما !!

ابنكما محمد عمر دولة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه الكثيرة، والشكر له تبارك وتعالى على نَعْمائه الوفيرة.

والصلاة والسلام على سيِّدِنا ونبيِّنا محمد الذي فرض اللهُ علينا محبَّتَه وطاعتَه وتوقيرَه، وأوجب علينا التأسِّيَ به ونُصرتَه وتعزيرَه.

اللهمّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على سيِّدِنا محمد بن عبد الله: النعمة المزجاة، والرحمة المهداة، والمنّة المسداة، صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والمقام المحمود !

اللهمّ صلِّ وسلِّمْ على سيِّدنا محمّد الذي عظّمتَ قدرَه، وفخَّمْتَ أمرَه، وشرحتَ صدرَه، ورفعتَ ذكرَه، وجعلتَ محبّتَه اعتقاداً ودِيناً، والصلاةَ عليه عِماداً ومُعيناً، والتأسِّيَ بسنّتِه سَداداً وفوزاً مبيناً !

اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد أرحم الناس قلباً، وأصفاهم وُدّاً، وأعظمهم لُبّاً، وأوفاهم عهداً، وأصدقهم وعداً، وأنداهم يداً !

اللهم صلّ وسلّم وباركْ على الحبيب الـذي كـان يُطيِّب بعرقه الطِّيب[1]، ويحنّ إلى كفّه الغصنُ الرطيب[2]، وتنبع[3] من بين أصابعه

(١) إشارة إلى حديث أنس الذي رواه البخاري في كتاب الاستئذان (باب من زار قوماً فقال عندهم) فتح الباري ٣٤٢/١٢. دار الفكر بيروت. ط١-١٤١٤هـ. ومسلم في كتاب الفضائل (باب طيب عرق النبيِّ ﷺ والتبرُّك به) - واللفظ لمسلم - أنّ أُمَّ سُلَيْمٍ جَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ ﷺ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا، فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ، فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا؛ فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا؛ قَالَ: أَصَبْتِ !) وفي رواية: (قَالَتْ: عَرَقُكَ أَذُوفُ بِهِ طِيبِي) شرح النووي على مسلم ٨٧/١٥. دار إحياء التراث العربي. ط ٦. قال ابن حجر: "أذوف - بمعجمة مضمومة ثم فاء - أي أخلط" فتح الباري ٣٤٤/١٢.

(٢) إشارة إلى حديث الجذع الذي كان يقوم إليه النبي ﷺ في الجمعة؛ فلما تركه إلى المنبر سُمِع له أنينٌ كأنين الصبي الذي يُسَكَّت، وقد رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب الخطبة على المنبر) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (أَنَّ جِذْعاً كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ) قال ابنُ حجر: "العِشار: جمع عُشَراء - بالضمّ ثم الفتح - وهي الناقة الحامل التي مضتْ لها عشرةُ أشهر ولا يزال ذلك اسمُها حتى تلد، وقال الخطابي: العشار: الحوامل من الإبل التي قاربتْ الولادة" الفتح ٥٩/٣.

(٣) قال شيخنا العلامة الفقيه اللغوي الأديب محمد علي الطريفي نفع الله به المسلمين: "قال الشاعر:

أفضلُ المياهِ ماءٌ قد نبعْ ... من بين أصابعِ النبيِّ المُتَّبَعْ !

يليهِ ماءُ زمزمٍ فالكوثرِ ... فنيلُ مصرَ ثم باقي الأنهُرِ !"

الشريفة قِراحُ العيون[1]، وتُشفى بأنامله قُروحُ الجفون[2]، ومن قال الله تعالى فيه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] !

وبعد،،،

---

(١) إشارة إلى معجزة النبي ﷺ في تفجُّر الماء من بين أصابعه الشريفة، وقد رواه البخاري في كتاب الوضوء (باب التماس الماء إذا حانت الصلاة)، ومسلم في كتاب الفضائل (باب في معجزات النبي ﷺ)، عن أنس ﷺ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ في ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ؛ قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ) شرح النووي على مسلم ٣٨/١٥. ورواه البخاري في كتاب المناقب (باب علامات النبوّة) من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر في الحديبية، قَالَ: (وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ؛ قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً) فتح الباري ٢٧٩/٧.

(٢) إشارة إلى حديث سهل بن سعد ﷺ الذي رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب مناقب عليّ بن أبي طالب القرشيّ الهاشميّ أبي الحسن ﷺ) أنّ رسول الله ﷺ قال: (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ) - وفي رواية (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ـ قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؛ فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّه ! قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ. فَلَمَّا جَاءَ؛ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ؛ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ! فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ) فتح الباري ٤٣٢/٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

[١] فإنّ من أعظم نعم الله تعالى على عباده أنْ أرسل إلـيهم رسـلَه الكرامَ؛ لأنهم"الميزانُ الراجحُ الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تـوزن الأقوالُ والأخلاقُ والأعمالُ، وبمتابعتهم يتميّز أهلُ الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورةُ إليهم أعظم من ضرورة البدنِ إلى روحه، والعـينِ إلى نورهـا، والروحِ إلى حياتها !"(١).

[٢] وقد كان من نعم الله على أمة الإسلام أن شرّفها بسيّد الرسـل عليه الصلاة والسلام صاحب الكوثر والشفيع في يوم المحشر، كما قال جلّ جلاله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِـي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ !(٢).

[٣] ولله درّ صاحب "الظلال" حيث قال: "إنما المنّـةُ العظمـى: أنْ يبعثَ اللهُ فيهم رسولاً... وتتضاعف المنّةُ بأن يكون هـذا الرسـول مـن (أَنفُسِهِمْ) - لم يقل منهم - فإنّ للتعبير القرآني (مِنْ أَنفُسِهِمْ) ظلالاً عميقة الإيحاء والدلالة... إنّ الصلة بين المؤمنين والرسول هي صلةُ النفس بالنفس، لا صلة الفرد بالجنس؛ فليست المسألةُ أنه واحدٌ منهم وكفى؛ إنما هي أعمقُ من ذلك وأرقى ! ثم إنهم بالإيمان يرتفعون إلى هـذه الصِّـلَة بالرسـول، ويَصِلُون إلى هذا الأفق من الكرامة على الله؛ فهو منّةٌ على المؤمنين !"(٣).

---

(١) زاد المعاد من هدي خير العباد لابن القيّم١/٦٩. مؤسسة الرسالة. ط١-١٣٩٩ هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٤).

(٣) في ظلال القرآن لسيّد قطب رحمه الله ٤/٥٠٦-٥٠٧ دار الشروق، الطبعة الشرعية الثلاثون.

[٤] وقد كان من بُشرى المؤمنين أنّ مـن أحـبّ الـنبيَّ ﷺ وقـام بمقتضيات هذا الحبّ؛ كان في معيّته ﷺ يوم القيامة، كما أخـرج الإمـام البخاري في كتاب (الأدب) باب (علامة الحبّ في الله عزّ وجلّ) من حديث ابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما: (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُـلُ يُحِـبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)، وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَـا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) ![1].

[٥] إنّ العاطفةُ في الإسلام ليستْ عاصفةً هوجاء، أو خبطَ عشواء ! كما أنها ليست نزعةً شخصيّةً، أو نزغةً شيطانيّةً، أو نزوةً بهيميّةً؛ ومن تدبّر حديث الصحيحين: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[2]؛ عَلِمَ أنّ للعواطـف في الإسلام أصولاً تحكمها وأُسُساً تضبطها وآداباً تهذّبها ! فإذا غُرستْ شجرةُ

---

(١) فتح الباري ١٢/١٩٥.

(٢) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه في بابين من كتاب الإيمان باب (حلاوة الإيمان)، وباب (من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار من الإيمان). فـتح البـاري ١/٨٦ و١٠٢. ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب (بيان خصالٍ من اتصف بها؛ وجد حـلاوةَ الإيمان) شرح النووي على مسلم ١/١٣-١٤.

المحبّة في القلب، وسُقيتْ بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب؛ أثمرتْ أنواعَ الثمار، وآتتْ أكلها كلَّ حين بإذن ربِّها، أصلها ثابتٌ في قرار القلــب، وفرعُهــا يتصل بسدرة المنتهى" !(١).

[٦] ولعلّ من نكبات المسلمين وممّا يعترض دعوات المصــلحين مــا تُعانيه هذه القلوب من القساوة؛ حتى عاد كثيرٌ منها لا يجد للإيمان حلاوة ! إما لابتذالها في التفاهات، أو ارتهانها إلى التعلّق بالزعامات، أو امتــهانها في حضيض المنكرات؛ فمثلُ هذا القلب الذي حُرِمَ حلاوةَ الإيمانِ مــا أشــقاه وأقساه ! ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ !(٢).

[٧] ولا شك أنّ الحبّ أعظمُ عاطفةٍ عرفتْها الكائنات، وأسمى المشاعر التي اهتزّت لوقعها الأنفُسُ الزّكيّات؛ فتحمّلت لأجلها المصائب والأتــراح، وبذلتْ في سبيلها الأموال والأرواح؛ ولا عجب "فبالمحبّة وللمحبّة وُجِــدت الأرضُ والسموات، وعليها فُطِرت المخلوقات، ولهــا تحرّكــت الأفــلاكُ الدّائرات !"(٣).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين لابن القيّم٣/٩. دار الفكر. ١٤١٢هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٥).

(٣) روضة المُحبّين ونزهة المشتاقين. لابن القيّم. مكتبة الصفا. القاهرة. ط١. ١٤٢٣هـ. وقد ترجم رحمه الله في الباب الرابع: (أنّ العالم العلوي والسفلي إنما وُجِد بالمحبّة ولأجلــها...) ص ٥٤ وما بعدها. وقال: "هذا بابٌ شريفٌ من أشرف أبواب الكتاب" !

[٨] ولعَمري إنّ عُمُرَ الإنسانِ ينبغي أن يُقاسَ بصِدْقِ حُبِّهِ لله ورسوله وصحّة عقله وسلامة قلبه؛ فالحكماءُ يَعُدّون أعمـارَهم بمقـدار انتفـاعهم بأوقاتهم؛ و"ليست الحياة بعدد السنين ! ولكنها بعدد المشاعر...لأنّ الحيـاة ليست شيئاً آخر غير شعور الإنسان بالحياة" !(١).

[٩] فالحُبُّ أشواقٌ عفيفةٌ، ونفحـاتٌ لطيفـةٌ، وعاطفـةٌ شـريفةٌ؛ و"لولا الحُبُّ؛ ما التفّ الغصنُ على الغصن، ولا عطف الظبيُ على الظبيـة، ولا بكى الغمامُ لجدب الأرض، ولا ضحكت الأرضُ بزهـر الربيـع، ولا كانت الحياة !"(٢).

[١٠] ولكنْ شتّانَ بين "محبّ الرحمن، ومحبّ الأوثان، ومحبّ النيران، ومحبّ الصلبان" !(٣).

فمحبّةُ رسولِ الله ﷺ عاطفةٌ تُخالط العظمَ واللّحم، ورُوحٌ تَسْري بين السَّحْر والنَّحر ! فهي مزيجٌ من العَقْدِ الصّحيحِ، والعَقْلِ الرّجيحِ، والوَجْـدِ الصّريح؛ (وتحت الرّغْوةِ اللّبَنُ الفصيح) !

---

(١) هذه الكلماتُ الجليلة ذكرها سيّد قطب رحمه الله في "أفراح الرّوح"، ص٤. وقـد أرى النّاسَ من نفسِهِ آيةً صادقةً في حبّ الله ورسولِهِ؛ حتى بذل روحَه ثمناً لذلك ! نسأل الله أنْ يتقبّله في الشهداء، وأنْ يكتبنا وإيّاه من السعداء !

(٢) من محاضرةٍ قيّمة بعنوان: (بحر الحُبّ) لفضيلة الشيخ الداعية الربّاني إبـراهيم الـدّويّش حفظه الله ونفع به المسلمين.

(٣) روضة المحبّين، ص ١٧.

أراني ما ذكرتَ لك الفراقا ودمعك واقفٌ إلا هَراقا!

إذا هبَّ الصَّبا النّجْديُّ وَهْناً بريحِ الرَّنْد أطْربني انتشاقا!

ولم أَهْوَ الكثيبَ وساكنيه ولا مصرَ الخصيب[1] ولاالعراقا !

ولا شوقي لكاظمةٍ ولكنْ ! إلى من سادَ أمّتَه وفاقا!

محمّدِ المخصَّص باسم أحمد من المحمودِ كان له اشتقاقا!

(١) قال العلامة الشيخ محمد علي الطريفي: "هذه نسبة إلى أحد أمراء مصر، كما قال الشاعر:

فقلتُ لها واستعجلتْها بوادر جرتْ فجرى في إثرهنّ عبيرُ !

ذريني أُكسِّرْ عاذليكِ بزورةٍ إلى بلدٍ فيهِ الخصيبُ أميرُ !"



أولاً

الأسس العقدية لحب النبي ﷺ

[١] لا ريبَ أنّ للحُبِّ جذوراً فكريّةً وأُسساً نفسيّةً قائمةً على المَيْلِ إلى المُوافِق في الخِصال، أو السّاعي إلى الكمال. ورحم اللهُ ابنَ القيِّم حيث قال: "أنتَ إذا تأمّلتَ الوجودَ لا تكاد تجد اثنين يتحابّان؛ إلا وبينهما مُشاكَلةٌ أو اتفاقٌ في فعلٍ أو حالٍ أو مقصدٍ؛ فإذا تباينت المقاصدُ والأفعالُ والطرائقُ لم يكن هناك إلا النَّفْرةُ والبُعدُ بين القلوب"![(١)].

[٢] وإنّ لمحبّة رسول الله ﷺ أسساً عقديّةً وأبعاداً تربويّةً، تتمثّل في الولاء لرسول الله ﷺ، والبراء ممّن شانأه وناوأه وحادّه وعاداه، كما قال الله عزّ وجل: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[(٢)].

[٣] وإذا كان القرآن قد حكى عن المنافقين أنهم﴿**يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[(٣)].

فقد أثبت القرآنُ لأهل الإيمان التعزيرَ والنصرةَ والاتباع للنبي ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[(٤)]، وبيّن اللهُ عزّ وجلّ أنّ نُصرةَ النبيِّين من شِيَمِ

---

(١) روضة المُحبِّين لابن القيِّم ص ٦٦.

(٢) سورة المائدة، الآيتان (٥٥-٥٦).

(٣) سورة الحشر، الآية (١١).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

المؤمنين؛ فقال جل جلالُه: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[1]، وما ذلك إلاَّ لأنّ "المحبّة والإرادة أصلُ كلّ فعلٍ ومبدأه؛ فلا يكون الفعل إلا عن محبّة وإرادة، حتى دفعُه للأمور التي يبغضها ويكرهها؛ فإنما يدفعها بإرادته ومحبّته لأضدادها... ولذلك كانت المحبّة والإرادة أصلاً للبغض والكراهة؛ فإنّ البغيض المكروه ينافي وجود المحبوب"[2].

[٤] ولا ريب أنّ من القيام بحقّ المحبوب الغيرةَ عليه، والذّبّ عنه؛ وليت شعري كيف يكون محبّاً لرسول الله من لا يتمعّر وجهُه إذا أُسيء إلى سنّة النبي ﷺ؛ كما قال ابن القيّم رحمه الله: "الغيرة له أن يكره ما يكره، ويغار إذا عُصي محبوبُه، وانتُهك حقه وضُيّع أمرُه؛ فهذه غيرة المحبّ حقاً، والدين كلُّه تحت هذه الغيرة؛ فأقوى الناس ديناً أقواهم غيرةً...فمحبّ الله ورسوله يغار على قدر محبّته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبّة أخلى وإن زعم أنه من المحبّين؛ فكذب من ادّعى محبّة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمةَ محبوبه ويسعى في أذاه ومساخطه، ويستهين بحقه، ويستخفّ بأمره وهو لا يغار لذلك!"[3]. فكيف بحقوق رسول الله ﷺ؟!

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

(٢) روضة المُحبّين ونُزهة المشتاقين لابن القيّم ص ٥٦.

(٣) روضة المحبين، ص ٢٠٥.

[٥] إنّ هذه المحبّة للمحبوب، والقيام بحقوقه، والغيرة عليه هي من أُسُس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن دواعي الجهاد؛ ورحم الله البدر العيني؛ فقد أشار إلى ذلك بتقريره أنّ "محبّة الرسول عليه السلام إرادة فعل طاعته وترك مخالفته، وهي من واجبات الإسلام قال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾"(١).

ولله درّ ابن القيّم حيث علّل هذا الأمرّ بأنه "إذا ترحّلت هذه الغيرةُ من القلب ترحّلت منه المحبّة؛ بل ترحّل منه الدّين وإن بقيت فيه آثارُه. وهذه الغيرة هي أصلُ الجهادِ والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة على ذلك؛ فإنْ خلَتْ من القلب لم يُجاهدْ ولم يأمرْ بالمعروف ولم ينهَ عن المنكر؛ فإنه إنما يأتي بذلك غيرةً منه لربّه؛ ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامةَ محبّته ومحبوبيّته الجهاد، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾"(٢).

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/١٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٤). روضة المحبّين، ص ٢٠٥.

[٦] وقد شهد النبي ﷺ لصحابته الكرام بصدق المحبّة والولاء؛ فقال ﷺ فيما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي، وَلا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي!)، وفي رواية: (وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي)[١]! وما أحسنَ ما رواه أبو موسى في فضائل الأشعريِّين من صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (.. وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ - أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ - قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ)[٢]! ولله درُّ البخاريِّ حيث ترجم في كتاب المغازي: (باب غزوة الحديبية، وقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[٣] كأنما يُشير إلى حديث يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ)[٤]!.

[٧] ولا ريب أنّ حال أصحاب النبي ﷺ أظهرُ دليلٍ على فداءِ الحبيب ﷺ بأنفسهم رضوان الله عليهم أجمعين؛ كما قال أَبُو طَلْحَةَ للنبي ﷺ:

---

(١) هو بهذه الألفاظ في مسلم (شرح النووي١٣/٢٠-٢٢)، وأصله عند البخاري مفرَّقاً في الإيمان والجهاد.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/٦١.

(٣) سورة الفتح، الآية (١٨). وراجع الترجمة في: فتح الباري، ٨/٢٠٦.

(٤) فتح الباري، ٨/٢١٩.

(بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَـوْمِ؛ نَحْـرِي دُونَ نَحْرِكَ!)[1]. وإننا حين نقرأ قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾[2]، نتذكّر ثناءَ الله عز وجل على الصحابة رضوان الله عليهم بقوله جل جلاله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[3].

وقد نزلتْ في أنس بن النضر الذي استشهد يومَ أُحُد حين انهزم الناس؛ فقال: اللهمّ إنّي أعتذر إليك مما صنع هؤلاء... فمضى فقُتل، فما عُـرف؛ حتى عرفته أخته بشامةٍ أو ببنانه، وبه بضعٌ وثمانون من طعنةٍ وضربةٍ ورميـةٍ بسهم)[4].

ورحم اللهُ من قال:

قلبي يُحدِّثُني بأنـكَ مُتْلفِـي | رُوحِي فداكَ عرفتَ أم لم تعرِفِ !
ما لي سِوى رُوحِي وباذِلُ نفسهِ | في حبِّ مَنْ يهواه ليس بِمُسْرِفِ !

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (فتح الباري ١٠٧/٨).

(٢) سورة التوبة، الآيتان (١١٩-١٢٠).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

(٤) فتح الباري ٩٩/٨.

ورَحِمَ اللهُ تعالى أبا قَتَادَةَ فقد روى مسلم أنه قال: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ؛ قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ؛ قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ؛ قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ مَالَ مَيْلَةً هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ؛ قَالَ: مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ. قَالَ: (حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ)[1].

وما ألطفَ ما رواه البُخاريُّ عَنْ عُرْوَةَ بن الزبير ــ رضي الله عنهما ــ قَالَ: (كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ: إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ. قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ: ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ فُلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ: صَدَقْتَ *بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ*[2] ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ)[1].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الفائتة واستحباب تعجيله، وقال النووي: (تهوّر الليل): أي: ذهب أكثره مأخوذ من تهور البناء وهو انهدامه. و(ينجفل): أي يسقط. ١٨٥/٣.

(٢) هو شطر بيت للنابغة الذبياني، من قوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلـولٌ من قراع الكتائب!

انظر: ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٥هـ، ص ٣٢.

ورحم الله الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي؛ حين قال: "قد أجاد من قال:

قالت وقد سألتْ عن حال عاشقها … باللهِ صِفْهُ؟ ولا تُنقِصْ ولا تَزِدِ !

فقلتُ: لو كان رهنَ الموتِ من ظمأ … وقلتِ: قِفْ عن وُرُودِ الماءِ لم يَرِدِ !"[2]

---

(١) فتح الباري ٢٨/٨.

(٢) أضواء البيان عن إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٣٤٠/١.

ثانياً

حقيقة حب النبي (ﷺ)

[١] تتجلّى حقيقة محبّة النبي ﷺ في شدّة الميل إليه:

كما قيل:

مكانُك من قلبي هو القلبُ كُلُّهُ فليس لِخَلْقٍ في مكانكَ موضعُ!
وخَطَّتكَ رُوحي بين جلدي وأعظُمي! فكيف تُراني إن فَقَدْتُكَ أصنعُ؟!

فالمحبّة تعلُّقٌ بالحبيب، وشوقٌ وحنينٌ، ودمعٌ يَنِمُّ عن حُزنٍ دفين! كما قال ابنُ فَرَح:

غَرامي صَحيحٌ والرَّجا فيك مُعضَلُ! وحُزني ودَمْعي مُرْسَلٌ ومُسَلْسَلُ!
وصَبْرِيَ عنكُمْ يَشْهَدُ العقلُ أنّهُ ضَعيفٌ ومَتْرُوكٌ وذُلِّيَ أجْمَلُ!
ولا حسنٌ إلا سماعُ حديثِكم مُشافهةً يُمْلى عَلَيَّ فأنقلُ![١]

ولله درُّ من قال:

حَيَّتْكَ ألْسِنَةُ الحَيا من دارِ وكَسَتْكِ حُلَّتها يدُ الأزهارِ!
ما الحبُّ إلا لوعةٌ تَلِجُ الحَشا أو مَدْمَعٌ جارٍ لفُرْقَةِ جارِ!

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أنّ وفداً من العراقيّين حجّوا سنة أربعٍ وتسعين وثلاثمائة وكانوا يخافون قطّاعَ الطريق، ومعهما قارئان من أحسن الناس صوتاً، "وقد كان أمير العراق عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبويّة؛ خوفاً من الأعراب... فشقّ ذلك على الناس، فوقف هذان الرجلان القارئان على جادّة الطريق التي منها يُعدَل إلى

(١) القصيدة الغراميّة لابن فَرَح، انظر: (مجموع المتون في مختلف الفنون) ص ٣٧. جمع الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

المدينة النبويّة، وقرءا **﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾** الآيات[1]؛ فضجّ الناسُ بالبكاء، وأمالت النوقُ أعناقها نحوهما؛ فمال الناسُ بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبويّة، فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم"[2].

فـؤادي بِرَبْـعِ لظّاعنينَ أسـيرُ ... يُقيـمُ عـلى آثـارِهمْ ويسـيرُ !

ودمعي غزيرُ السّكْبِ في عَرَصاتِهمْ ... فكيفَ أكُفُّ الدَّمعَ وهـو غزيـرُ ؟

وإنّ تَبارِيحي بِهِمْ وصَبابَتـي ... لَهُنَّ رَواحٌ في الحَشا وبُكُـورُ !

أحِـنُّ إذا غَنَّـتْ حمائمُ شِـعْبِهم ... وينـزِعُ قلبـي نحـوَهم ويَطيـرُ !

ومَنْ لِي بأن أُرْوَى من الشِّعْبِ شربةً ... وأنظرَ تلـكَ الأرض وهـي مَطيرُ!

بَعُدْتُم ولم يبعُدْ مِـن القلبِ حُبُّكم ... وغِبْتُـمْ وأنتـمْ في الفؤادِ حُضُورُ !

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله اختلافَ الناسِ في تفسير محبّة النبي ﷺ فقال: "حقيقةُ المحبّة: الميلُ إلى ما يوافق الإنسان، وتكون موافقته له: إما لاستلذاذه بإدراكه: كحُبِّ الصُّوَرِ الجميلةِ والأصواتِ الحسنةِ والأطعمةِ والأشربةِ اللّذيذة وأشباهها مما كلّ طبعٍ سليمٍ مائلٌ إليها؛ لموافقته له، أو لاستلذاذه بإدراكه - بحاسّة عقله وقلبه - معانيَ باطنةً شريفة: كمحبّة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السِّيَر الجميلة والأفعال

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٤٠٦/٦. دار المعرفة بيروت. ط٤- ١٤١٩هـ. وقد أشار إلى هذه الحادثة د.عبد العزيز آل عبد اللطيف نفع الله به في مجلّة البيان العدد ١٨٨ صفحة ٦.

الحسنة؛ فإنّ طبع الإنسان مائلٌ إلى الشغف بأمثال هؤلاء...أو يكون حبّه إيّاه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه؛ فقد جُبلت النفوسُ على حبّ من أحسن إليها؛ فإذا تقرّر هذا نظرتَ هذه الأسبابَ كلَّها في حقه ﷺ؛ فعلمتَ أنه ﷺ جامعٌ لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبّة"[(١)].

وما أحسنَ ما اختاره العلامة ابنُ القيِّم من تعريف الجُنَيْد رضي الله عنه للمحبّة، حيث قال ابنُ القيِّم: "قال أبو بكر الكتاني: جرتْ مسألةٌ في المحبّة بمكّة أعزَّها الله تعالى أيّامَ الموسمِ، فتكلَّم الشيوخ، وكان الجُنَيْدُ أصغرَهم سِنّاً، فقالوا: هاتِ ما عندك يا عراقي؟ فأطرق رأسه ودمعتْ عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسِه، مُتَّصِلٌ بذكرِ ربِّه، قائمٌ بأداءِ حقوقِه، ناظرٌ إليه بقلبِه، أحْرَقتْ قلبَهُ أنوارُ هَيْبتِه، وصفا شِرْبُهُ من كأسِ وُدِّه، وانكشف له الجبّارُ من أستار غَيْبِه؛ فإنْ تكلَّم فباللهِ، وإن نطقَ فعن الله، وإنْ تحرَّك فبأمرِ اللهِ، وإنْ سَكَنَ فمع اللهِ؛ فهو باللهِ وللّهِ ومع الله! فبكى الشيوخُ؛ وقالوا: ما على هذا مزيدٌ جزاكَ اللهُ يا تاجَ العارفين!"[(٢)].

ولله درّ ابن بطّال حيث قال في شرح حديث أنس في البخاري باب (حُبَّ الرسول ﷺ من الإيمان): (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٢/٥٧٩-٥٨٠.دار الكتاب العربي بيروت. ط١٤٠٤هـ.

(٢) مدارج السالكين ٣/١٦.

وَالده وَوَلَده وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ): "قال أبو الزناد: هذا من جوامع الكلم الذي أُوتِيَهُ عليه الصلاة والسلام؛ إذ أقسامُ المحبّة ثلاثةٌ: محبّة إجـلالٍ وإعظـامٍ: كمحبّة الوالد، ومحبّة رحمةٍ وشفقةٍ: كمحبّـة الولـد، ومحبّـة مشـاكلةٍ واستحسانٍ: كمحبّة الناس بعضهم بعضاً"(١).

ورحم الله الإمامَ النوويَّ ما ألطفَ قولَه شارحاً حـديث عائشـة أنّ النبي ﷺ في مرض موته (خرج بين رجلَيْن: أحدهما العبّـاس) وفي روايـةٍ: (خرج ويدٌ له على الفضل بن عبّاس، ويدٌ له على رجلٍ آخر)، فقد قـال: "كانوا يتناوبون الأخذ بيده الكريمة ﷺ تـارةً هـذا، وتـارةً ذاك وذاك، ويتنافسون في ذلك؛ وهؤلاء هم خواصُّ أهل بيته الرجال الكبـار، وكـان العبّاس رضي الله عنه أكثرَهم ملازمةً للأخذ بيده الكريمة المباركـة ﷺ، أو أنـه أدام الأخذ بيده؛ وإنما يتناوب الباقون في اليـد الأخـرى، وأكرمـوا العبـاس باختصاصه بيدٍ واستمرارها له؛ لما له من السن والعمومة وغيرهما"(٢).

[٢] تتمثّل حقيقة محبّة النبي ﷺ كذلك في الإيمان به، وتصديق رسالته:

وما أحسنَ قولَ القسطلاني في شرح حديث الصحيحين: (لا يُـؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالده وَوَلَده وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ): "المراد هنا المحبّة الإيمانيّة: وهي اتباعُ المحبوب، لا الطبيعيّة؛ ومن ثَمَّ لم يُحْكَمْ بإيمان أبي طالب مع حبّه عليه الصلاة والسلام على ما لا يخفى؛ فحقيقة الإيمان لا تتم

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني١/١٤٤. دار الفكر.

(٢) شرح النووي على مسلم ٤/١٣٨. دار إحياء التراث العربي. ط ٦.

ولا تحصل إلا بتحقيق إعلاء قدره ومترلته على كلّ والدٍ وولدٍ ومُحسنٍ؛ ومن لم يعتقدْ ذلك فليس بمؤمن"[1].

لله مَيْتٌ بالمدينة قَبْرُهُ قصرٌ مَشيدٌ والقُصورُ مقابرُ !
لله مَيتٌ كلُّ حَيٍّ لم يكنْ بهُداهُ حَيّاً فهو عظمٌ ناخرُ !
إنْ لم أنلْهُ ولم يكنْ منّي لهُ بسنان رُمْحي أو لساني ناصرُ !
فأنا النَّصُورُ لوحيه بدلائل وَجَهُ اليقين هنَّ أبلجُ زاهرُ !
من يَلْقهنَّ بفهمه فكأنما في مَسْمَعَيْه الوحيُ غضٌّ ناضرُ !
ويهزُّ مِنْ عِطْفي إذا جَنَّ الدُّجى أمَلي كما هزَّ الجناحَ الطائرُ !

ولا ريبَ أنّ هذه الأمة قد فقدتْ ريادهًا للعالمين؛ منذ غاب حُبُّ سنّة خاتمِ النبيِّين ﷺ عن قيادها! وليت شعري هل ظمئت الأرواح وكثرت الأتراح؛ إلا لبُعدنا عن سنة نبيِّنا ﷺ ومائها القراح؟! فلا ملجأ ولا منجا لنا إلا بالعودة إلى ذلك الينبوع الصافي الذي لم يُكَدَّرْ! فإنّ سنّة نبيّنا محمّد ﷺ أحبُّ إلى العاقل من الدنيا وما فيها؛ ورحم الله العلامة ابن المنيّر ما أحسنَ قولَه: "السنّة هي الجُنّة الحصينة لمن تدرّعَها، والشِّرعة المنيعة لمن تشرّعها: وِرْدُها صاف، وظلّها ضاف، وبيانها واف، وبرهانها شاف"![2].

وقد كان سلفنا الصالحُ يحذرون من مخالفة النبي ﷺ ويخافون مفارقة سنّته؛ إذ في ذلك الضلال والفتنة، كما قال الله جل جلاله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]. وقال

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/٩٧ دار الكتب العربي. ط١٣٩٣هـ.

(٢) في مقدّمة المتواري على تراجم أبواب البخاري ص ٣٤.

(٣) سورة النور، الآية (٦٣).

عمر رضي الله عنه محذراً من هَجْرِ سُنَّة النبي ﷺ: "أَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَـانٌ أَنْ يَقُولُوا: مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ"![1].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في صلاة الجماعة: "إِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِـيِّكُمْ سُـنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَـذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ؛ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ؛ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ"![2].

[٣] إنّ حقيقة محبّة النبي ﷺ تتمثل في توقيره وتعظيمه؛ وفي الإدراك الـواعي لعظمة سُنَّته:

ومن هنا قال ابن القيّم رحمه الله: "عشق صفاتِ الكمالِ مـن أنفـع العشقِ وأعلاه؛ وإنما يكون بالمناسبة التي بين الروح وتلك الصفات؛ ولهـذا كان أعلى الأرواح وأشرفها: أعلاها معشوقاً وأشرفَها معشوقاً، كما قيل:

أنتَ القتيلُ بكلّ من أحببتَهُ   فاخترْ لنفسك في الهوى مَن تصطفي!"[3]

وقد كان لسلف هذه الأمة رضي الله عنهم النصيبُ الأوفر من التوفيق إلى ذلك؛ لصلاح قلوبهم وصفاء عقولهم، كما روى البخاري في (المغازي) عن المسيَّب بن رافع قال: لَقِيتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَـا ـ فَقُلْتُ: طُوبَى لَكَ، صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَبَايَعْتَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ! فَقَالَ: يَا ابْـنَ

(١) فتح الباري ١٤/١١٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٦/٥.

(٣) روضة المحبّين ص ٦٣.

أَخِي إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُ). قال ابن حجر: "غبطه التابعيُّ بصحبة النبي ﷺ؛ وهو مما يُغبَطُ به"![1].

وأخرج مسلم نحو ذلك في (الفضائل) عن حُصَيْن بن سَبْرة أنه قال لزيد بن أرقم: (لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ)![2].

وما ألطفَ قولَ الحافظ ابن حجر تعليقاً على حديث أنس: (مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاهُ مِنَ الشَّهْرِ صَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتُهُ، وَلا مُفْطِرًا إِلاَّ رَأَيْتُهُ، وَلا مِنَ اللَّيْلِ قَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتُهُ، وَلا نَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتُهُ، وَلا مَسِسْتُ خَزَّةً وَلا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلا عَبِيرَةً أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). قال ابن حجر: "فيه أنه ﷺ كان على أكمل الصفات خَلْقاً وخُلُقاً؛ فهو كلُّ الكمال، وجُلُّ الجلال، وجُملةُ الجمال عليه أفضلُ الصلاة والسلام"![3].

وقد أحسن العلامة ابن القيّم التعبير عن هذا المعنى بقوله: "إذا كانت سعادة العبد في الدّارين معلّقة بهدي النبي ﷺ؛ فيجب على كل من نصح نفسَه، وأحبّ نجاتَها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به

---

(١) فتح الباري ٨/٢٢٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥/١٧٩.

(٣) فتح الباري ٤/٧٣٦.

عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه؛ والناس في هـذا بين مُسْتَقِلّ ومُستكثِرٍ ومحرومٍ، والفضل بيد الله يؤتيه مـن يشـاء والله ذو الفضل العظيم"[(١)].

ومن هنا صرّح القاضي عياض أنه قد ألّف كتابه النفيس(الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ؛ لأجل "تعريف قدره الجسيم وخُلُقه العظيم، وبيـان خصائصه التي لم تجتمعْ قبلُ في مخلوقٍ، وما يُدان اللهُ تعالى به من حقّه الذي هو أرفعَ الحقوق!"[(٢)].

وقد كان للسلف حفاوةٌ بسنة النبي ﷺ وإعجابٌ بروعتـها؛ لأجـلِ كمالِ حُبِّهم للنبيّ ﷺ، كما روى الشيخان عن ابن أبي ليلى أنّ كعب بـن عُجْرَةَ قال له: "ألا أهدي لك هدية؟ قال: بلى، فأهْدِها لي"؛ فأهداه الصلاة الإبراهيمية[(٣)].

وقال أنس ﷺ - كما في مسلم - من حديث محمود بن الربيع عـن عتبان بن مالك في صلاة النبي ﷺ في بيته: "فَأَعْجَبَنِي الْحَـدِيثُ؛ فَقُلْـتُ لابْنِي: اكْتُبْهُ"[(٤)].

---

(١) زاد المعاد ١/٦٩-٧٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/٦.

(٣) فتح الباري ٧/٦١، وشرح النووي على مسلم ٤/١٢٦،

(٤) شرح النووي على مسلم ١/٢٤٤. فقد صرّح أنس ﷺ بإعجابه بالحـديث الشـريف، وأمر ابنه بكتابته تأدبياً له على محبة الحديث الشريف، فليتنا نَعِي عظمة سنة الـنبيﷺ، ونعلمها أبناءنا اقتداءً بأنس بن مالك ﷺ.

وقال حذيفة كما في الصحيحين من حديث الفتنة التي تموج كموج البحر وقد سأله عنه عمر: "فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ"![1].

وقال مَعْمَر كما في مسلم: قَالَ لِيَ الزُّهْرِيُّ: (أَلا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثَيْنِ عَجِيبَيْنِ؟!" فذكر له حديث المرأة التي دخلتْ النارَ في هرّةٍ حبستها، وحديث الرجل الذي أسرف على نفسه؛ فأوصى أن يُحرَق ويُسحَق ويُذرى في الرّيح؛ فلما جمعه الله وقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: خَشْيَتُك يا ربِّ! فغفر له بذلك؛ قال الزهري: لئلا يتّكل رجلٌ، ولا ييأسَ رجلٌ![2].

وكان للقوم اعتزازٌ بحكمة سنة النبي ﷺ، كما قال أبو بكرة الثقفي رضي الله عنه: "لقد نفعني الله بكلمةٍ سمعتُها من رسول الله ﷺ أيامَ الجمل؛ بعدما كدتُ أن ألحقَ بأصحاب الجملِ فأقاتل معهم؛ قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنتَ كسرى؛ قال: (ما أفلح قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة)[3].

وقال عامر الشَّعبي لرجلٍ سأله عمّنْ يُعتق أمتَه ثم يتزوّجها، بعد أن حدّثه بحديث: (ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ) ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: "أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ! قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ"![4].

---

(١) فتح الباري ٣٠٧/٧.

(٢) شرح النووي ٧١/١٧-٧٢.

(٣) فتح الباري ٤٦٨/٨.

(٤) رواه البخاري في كتاب العلم. باب تعليم الرجل أمتَه وأهلَه. فتح الباري ٢٥٦/١.

وروى مسلم في شأن تسليمتَي التحليل من الصلاة عن أبي مَعْمَر عبد الله بن سَخْبَرَة أنَّ أميراً كان بمكة يُسلّم تسليمتين فقال عبد الله: (أنَّى عَلقها؟)، قال النووي: "أي: مِنْ أينَ حصَّل هذه السُّنَّةَ وظفر بها؟"(١).

[٤] وتتجلّى حقيقة محبّة النبي ﷺ كذلك في طاعته ﷺ: باتباع أمره، واجتناب نهيه، والتأسّي به في أموره كلها:

وقد اعتبر الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله حقيقةَ محبّة العبد للنبي ﷺ "أن لا يتلقّى شيئاً من المأمورات أو المنهيّات إلا من مِشْكاته، ولا يسلك إلا طريقتَهُ، ويرضى بما شرعه؛ حتى لا يجد في نفسه حَرَجاً مما قضاه، ويتخلّق بأخلاقه في الجُود والإيثار والحِلْم والتواضع وغيرها"(٢).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾(٣): "هذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كل من ادّعى محبّة الله وليس هو على الطريقة المحمّديّة؛ فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر؛ حتى يتبع الشرع المحمّدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح أنه قال: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)... وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنهم يحبّون الله؛ فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾"(٤).

---

(١) شرح النووي على مسلم ٨٢/٥.

(٢) فتح الباري ٨٨/١.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٦٧/١.

ولله درّ القاضي عياض حيث قال: "فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به؛ وجبت طاعته لأنّ ذلك مما أتى به، قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]، وقال: **﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾**[2]، وقال: **﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[3]، وقال: **﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾**[4]، وقال: **﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾**[5]، وقال: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**[6]، وقال: **﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾**[7]، وقال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾**[8]؛ فجعل تعالى طاعة رسوله طاعتَه، وقَرَنَ طاعتَه بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثالَ أمره واجتنابَ نهيه. قال المفسّرون والأئمّة: طاعةُ الرسول التزامُ سنّته، والتسليم لما جاء به"[9].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

(٤) سورة النور، الآية (٥٤).

(٥) سورة النساء، الآية (٨٠).

(٦) سورة الحشر، الآية (٧).

(٧) سورة النساء، الآية (٦٩).

(٨) سورة النساء، الآية (٦٤).

(٩) الشفا ٢/٥٤٢-٥٤٣.

وقد كان السابقون رضي الله عنهم يُرَبُّون أبناءهم على الاعتناء بسنة النبي ﷺ والاحتفاء بها؛ لأنّهم يلتمسون فيها بركةَ الأنفاس والطهارةَ من الأدناس والاهتداءَ بالنبراس، كما قال جل جلالُهُ: **﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾**![1].

فتراهم يهُشون لهدي النبي ﷺ ويبشُّون، ويتمسّكون به إذا ذهب الناس إلى غيره يَبُسُّون[2]؛ حتى قال مسلم بن الحجاج في شأن دعاء التشهد: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ):" بلغني أنّ طاوساً قال لابنه: أدعوتَ بها في صلاتك؟ قال: لا؛ قال: أَعِدْ صلاتك؛ لأن طاوساً رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال"[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(٢) إشارة إلى حديث: (تُفْتَحُ الْيَمَنُ؛ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ؛ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ!) فتح الباري ٥٧٥/٤. كتاب فضائل المدينة. باب من رغب عن المدينة. وقد قال ابن منظور: (بَسَسْتُ الدابة وأَبْسَسْتُها): "إذا سُقْتُها وزَجَرْتُها، وقلت لها: بِسْ بِسْ". لسان العرب، ٢٧/٦، دار صادر، ط/٦، ١٤١٧هـ.

(٣) شرح النووي على مسلم ٨٩/٥. قال النووي: "جمهورُ العلماء على أنه مُستحَبٌّ ليس بواجبٍ؛ ولعلّ طاوساً أراد تأديبَ ابنِه، وتأكيد هذا الدعاء عنده، لا أنه يعتقد وُجوبَه".

وبعث معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة كما في صحيح البخاري يسأله عن الدعاء بعد الصلاة[1]. وروى مسلم عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَى أُمَرَاءِ الأَمْصَارِ، وَأَنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فَيْئَهُمْ وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لا أَرَاهُمَا إِلاَّ خَبِيثَتَيْنِ: هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا)[2].

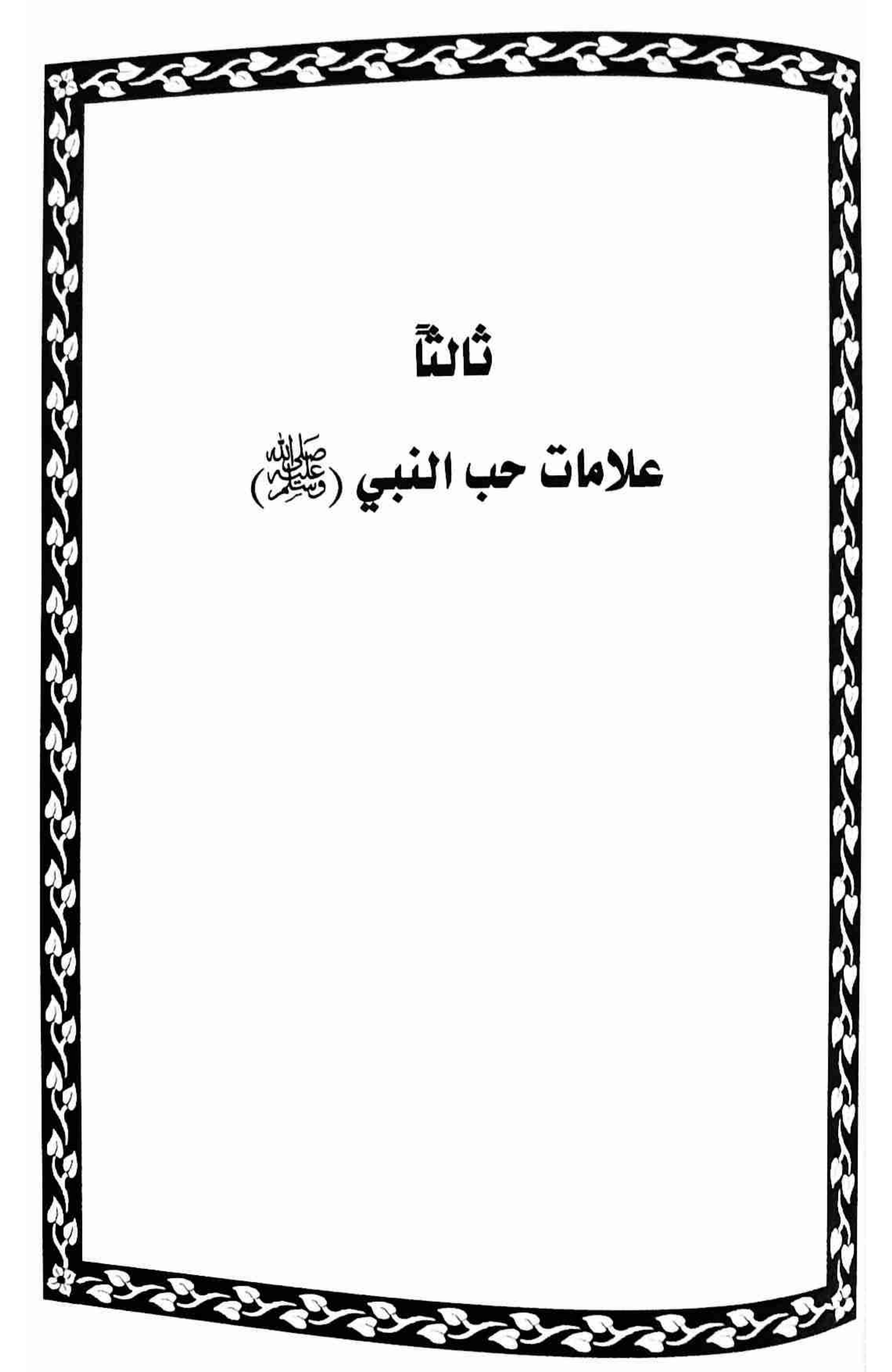
وسأل حكيم بن أفلح عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ عن خُلُق رسول الله ﷺ، (قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ)![3].

---

(١) فتح الباري ٥٩٢/٢. قال ورّاد كاتب المغيرة: "أَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ).

(٢) شرح النووي ٥٣/٥.

(٣) المصدر نفسه، ٢٦/٦. وفي هذا الحديث دلالة عظيمة على التخلق بأخلاق القرآن الكريم، ووالله لو اجتمع المسلمون على كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ لاجتمعت كلمتهم وقويت شوكتهم ولصلح حالهم وسادوا العالمين بدينهم **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الرعد: ١١].



ثالثاً

علامات حب النبي (ﷺ)

[١] ليس حبّ نبيّنا محمّد ﷺ مجرَّدَ كلماتٍ يردِّدُها الشعراء! أو خُطَب يتلوهـا على المنابر الخطباء! ولكنّ محبّةَ النبي ﷺ - فوق ذلك - نفحةٌ ربّانيّـةٌ وعقيـدةٌ إيمانيّـةٌ تستشـعر ربـاط الأرض بالسـماء!: كمـا قالـت أمُّ أيمن(رضي الله عنها) : (إِنَّمَا أَبْكِي لأَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ عَنَّا مِنَ السَّمَاءِ)![١].

ولله درُّ من قال:

تُبـدي الغـرامَ وأهلُ العشقِ تَكتُمُهُ! وتدّعيـهِ جـدالاً مـن يسـلّمُهُ ؟
مـا هكذا الحُبُّ يا من ليس يفهمُهُ! خلِّ الغرامَ لصبٍّ دمعُـهُ دمُـهُ
حـيرانَ تُوجِـدُه الذكـرى وتُعْدِمُـهُ!

وقد روى البخاري في كتاب الإيمان (باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِه). قال الحافظ ابن حجر: "المراد سـيّدُنا رسولُ اللهﷺ؛ بقرينة قوله: (حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ)، وإن كانت محبّة جميع الرسـل من الإيمان؛ لكنّ الأحبيّة مختصّة بسيّدِنا رسولِ الله ﷺ"[٢].

ولله درّ الحافظ ابن رجب، حيث قال: "إنّ أعظم نعم الله على هـذه الأمة إظهارُ محمد ﷺ لهم، وبعثته ورسالته إليهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾؛ فإنّ النعمة علـى

---

(١) رواه الشيخان. راجع شرح النووي على مسلم ١٦/١٠.

(٢) فتح الباري ١/٨٤.

الأمة بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر..."[1].

ورضي الله عن ابن عمر؛ فقد روى البخاريُّ في كتاب الاستسقاء أنه قال: " رُبَّمَا ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَسْقِي فَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ"[2]

[٢] ومن علامة محبّة النبي ﷺ إيثار آثاره ﷺ على كلّ شيء:

كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "علامة الحبّ المذكور أن يُعرَض على المرء: أن لو خُيِّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ لو كانت ممكنةً؛ فإن كان فقدُها - أن لو كانت ممكنةً - أشدَّ عليه من فقد شيءٍ من أغراضه فقد اتصف بالأحبيّة المذكورة؛ ومن لا فلا!"[3].

وهذا ما صرّح به النبي ﷺ من حديث أبي هريرة في كتاب (المناقب) من البخاري: (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِه وَمَالِه)، وهو عند مسلم في كتاب (الجنّة) بلفظ: (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبّاً: نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِه)![4].

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. لابن رجب. دار ابن كثير. ط١. ١٤١٣هـ.

(٢) فتح الباري ١٨٢/٣.

(٣) فتح الباري ٨٥/١.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٧٠/١٧، وقد سبق إلى الاستدلال بحديث مسلم د.عبد الله الزبير عبد الرحمن في(محبّة النبي ﷺ) ص ٢٨. دار الشريعة للنشر؛ فأقول:

قال النووي: "تقدير الكلام: يأتي على أحدكم يومٌ لأن يـــراني فيـــه لحظةً، ثم لا يراني بعدها؛ أحبُّ إليه من أهله وماله جميعاً"![(١)].

وقال ابنُ حجر: "إنّ كلّ أحدٍ من الصحابة بعد موته ﷺ كان يـــودُّ لـــو كان رآه وفقد مثلَ أهلِه ومالِه؛ وإنما قلتُ ذلك لأنّ كلّ أحدٍ ممّـــن بعـــدهم إلى زماننا هذا يتمنّى مثل ذلك، فكيف بهم مع عظيم منزلتِه عندهم ومحبّتهم فيه"[(٢)].

ورحم الله من كان لسانُ حالِه ومقالِه:

فيا بُعْـدَ مـــا بيني وبين أحبّتي! ويـــا قُرْبَ ما التفّتْ عليه الضمائرُ!

[٣] ومن علامات محبّة النبي ﷺ الاقتداء به وإحياء سنته:

فقد قال القاضي عياض: "اعلمْ أنّ من أحبّ شيئاً آثره وآثر موافقتَـــه؛ وإلا لم يكن صادقاً في حبّه وكان مدّعيا؛ فالصادقُ في حبّ النبي ﷺ مـــن تظهر علامة ذلك عليه: وأوّلها الاقتداء به، واستعمال سنّته، واتباع أقوالـــه وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدّب بآدابه في عسره ويســـره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى:﴿قُلْ إِن كُنـــتُمْ تُحِبُّـــونَ اللَّـــهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وإيثار ما شرعه وحضّ عليه على هـــوى نفســـه وموافقة شهوته، قال الله تعالى:

ولكنْ بكتْ قبلي فهيّج لي البُكا بُكاها فقلتُ: الفضلُ للمتقدِّمِ!

(١) شرح النووي على مسلم ١١٨/١٥ كتاب الفضائل، باب (فضل النظر إليهﷺ وتمنّيه).

(٢) فتح الباري ٣١١/٧-٣١٢.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١]، وإسخاط العباد في رضا الله.. فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبّة لله ورسوله؛ ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبّة، ولا يخرج عن اسمها"[٢].

ولله درّ الإمام أحمد بن حنبل حيث قال: "ما كتبتُ حديثاً عن النبي ﷺ إلا قد عملتُ به؛ حتى مرّ بي الحديث أنّ النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبةَ ديناراً؛ فأعطيتُ الحجام ديناراً حتى احتجمت"![٣].

[٤] ومن علامة حبّ النبي ﷺ المداومة على ذكره والصلاة عليه[٤]، وشدّة الشوق إليه:

ومن هنا فإنّ أهل المحبّة لا يخفون؛ لأنّ وجوهَهم الزاهرة قد أشرقتْ بأنوار قلوبِهم العامرة، كما قيل:

---

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

(٢) الشفا ٢/٥٧١-٥٧٢.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/٢٠٧. مؤسسة الرسالة. ط١-١٤١٢هـ. تحقيق محمد عجاج الخطيب.

(٤) ولقد فاز واللهِ أهلُ العنايةِ بالحديث الشريف فوزاً عظيماً؛ كما ورد في كتاب المغازي من البخاري (باب حديث بني النضير)؛ في حديث مخاصمة العباس وعليٍّ إلى عمر رضي الله عنهم جميعاً في الذي أفاء اللهُ على رسولِه من بني النضير؛ فمن أحصى يجد في هذا الحديث الواحد أربع عشرةَ صلاةً على النبي ﷺ! وراجع الحديث في فتح الباري ٨/٧٤. باب حديث بني النضير.

إنّ المُحِبِّين قــومٌ بين أعيُنِهــم   وَسْمٌ من الحبِّ لا يخفى على أحَــدِ!

وقد صرّح بذلك عياض في قوله: "من علامة محبّة الـنبي ﷺ كثـرة ذكره؛ فمن أحبّ شيئاً أكثر ذكره، ومنها كثرة شوقه إلى لقائــه؛ فكــل حبيبٍ يحبّ لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعريين لما قدموا المدينة أنهم كــانوا يرتجزون:

غـــداً نلقــى الأحبــّهْ!   محمَّــــداً وصحــــبَهْ!"[1]

ورضي الله عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ فقد احتــبس عــن الخروج مع رسول الله ﷺ لما ضرب زوجتَه المخاضُ، وقال: (إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ؛ وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى)![2].

ولهذا المعنى كان صحابة النبي ﷺ لا يرضون أن يتخلّفوا عنه: كما قال عليّ رضي الله عنه يوم خيبر: (أنا أتخلّف عن رسول الله ﷺ؟)![3].

ويكفيك دلالةً على شدّة حبّ الصحابة للنبي ﷺ جوابُ أنــس لمــن سأله عن حضور حُنين مع النبي ﷺ؛ فقال رضي الله عنه: (وأين أغيب عنه؟)![4].

ورحم الله من قال:

---

(١) الشفا ٢/٥٧٣.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/١٢.

(٣) المرجع السابق ١٥/١٧٩.

(٤) فتح الباري ٨/٣٧٦.

لا سكّن الله قلباً عَنَّ ذكرُكُمُ ... فلم يَطِرْ بجناحِ الشوق خفّاقا !
لو شاء حَمْلي نسيمُ الرِّيح حين هفا ... وافاكُمُ بفتًى أضناهُ ما لاقى !
فالآنَ أحْمدَ ما كُنا لعهدكُمُ ... سَلَوْتُمُ وبَقينا نحنُ عُشّاقا ![1]

[٥] ومن علامات محبّة النبي ﷺ التأدّب معه ﷺ و"تعظيمه وتوقيره عند ذكره، وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه"[2]:

وقد روى مسلم عن عمرو بن العاص أنه قَالَ: (مَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ؛ إجْلالاً لَهُ؛ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ؛ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ؛ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ؛ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)![3].

ولله در من قال:

فجادوا والمهابةُ قد علتْهُمْ ... بموفور التحيّة والسلامِ
ولولا أنه فرض عليهم ... لهابوا أنْ يَفوهُوا بالكلامِ

وقد أورد القاضي عياض في (تعظيم النبي ﷺ بعد موته) عن مالك – وقد سئل عن أيوب السختياني – قال: ما حدّثتكم عن أحدٍ إلا وأيوب أفضل منه؛ وحجّ حجّتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه؛ غير أنه كانَ إذا ذُكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه؛ فلما رأيتُ منه ما رأيتُ وإجلالَه النبيَّ ﷺ كتبتُ عنه!"[4].

---

(١) الأبيات في ديوان ابن زيدون ص ١٩٥. دار الكتاب العربي. ط١- ١٤١١هـ. ومدامع العشّاق لزكي مبارك ص ١١٨، وقال: "إنّي لمفتونٌ بهذا الشطر الحزين:

* سلوتُم وبقينا نحنُ عُشّاقا! *

(٢) الشفا ٢/٥٣٧.

(٣) شرح النووي، ٢/١٣٨.

(٤) المرجع نفسه ٢/٥٩٦-٥٩٧.

[٦] ومن علامة حبّ النبي ﷺ كذلك موافقته في الحبّ والبغض، والقيام بحق المنتسبين إلى خدمته ﷺ:

وقد قال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها لما جاءت تبلّغه غيرة نساء النبي ﷺ من عائشة: (يَا بُنَيَّةُ! أَلا تُحبِّينَ مَا أُحِبُّ؟ قَالَتْ: بَلَى) [١]، وفي رواية: (قالت: والله لا أكلّمه فيها أبداً!) [٢].

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي داود والبزار واللفظ له (أوثق عرى الإيمان: الحبّ في الله، والبغض في الله).

قال عياض رحمه الله: "ومنها محبّته لمن أحبّ النبي ﷺ ومن هو بسببه: من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبّهم" [٣].

ولله درّ القحطاني حيث قال:

إنَّ الرَّوافِضَ شرُّ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... من كُلِّ إنسٍ ناطقٍ أو جانِ !

مَدَحُوا النبيَّ وخوّنوا أصحابَهُ ... ورَمَوْهُمُ بالظُّلْمِ والعُدْوانِ !

حبُّوا قرابته وسبُّوا صَحْبَهُ ... جَدَلانِ عند اللهِ مُنْتَقِضانِ ! [٤]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الهبة (فتح الباري ٥/٥٢٠).

(٢) رواه مسلم (استفدتُه من ابن حجر في فتح الباري ٥/٥٢٢).

(٣) الشفا، ٢/٢٧٥.

(٤) نونية القحطاني، ص ٣١ـ٣٢، مطبعة سفير، الرياض، ط/٤، ١٤٢٠هـ، قال الشيخ العلامة الفقيه محمد علي الطريفي: "مَنْ شَكَّ في صحبة الصِّدِّيق ﷺ فقد كفر، ومَنْ

قال عياض: "..وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس، وقد قال أنس رضي الله عنه وقد رأى النبي ﷺ يتتبّع الدبّاء من حوالي القصعة: (فما زلت أحبّ الدبّاء من يومئذ)!"[١].

وقد روى مسلم عن ميمونة أنها قالت: (لا آكُلُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَيْءٌ يَأْكُلُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)![٢].

وعن جابر حين سمع حديث النبي ﷺ: (نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلّ) قَالَ: "فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ)[٣].

وعن أبي أيوب رضي الله عنه لما سمع النبي ﷺ يقول في الثوم: (أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ؛ قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ)![٤].

ويدخل في هذا الباب حبُّ أهل الحديث الشريف؛ فإنهم من أعظم الناس خدمةً لرسول الله ﷺ، وهم خاصّته كما ذكر ابن كثير في تفسير قول الله عزّ وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٥] عن بعض السلف أنه قال:

أساء إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقد عصى الله ورسوله، فَلْيَحْذَرِ المسلمون من شَرِّ هذه الطائفة كيف وقد روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: (لا تَسُبُّوا أصحابي، فإنّ أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً لم يَبْلُغْ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَهُ).

(١) الشفا ٢/٢٧٥. والحديث في البخاري. والدُّبَّاء: هو القَرْع.

(٢) شرح النووي على مسلم، ١٣/١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ١٤/٦-٧.

(٤) شرح النووي، ١٤/٩.

(٥) سورة الإسراء، الآية (٧١).

"هذا أكبرُ شرفٍ لأصحاب الحديث؛ لأنّ إمامَهم النبي ﷺ"[1]. فمـن لنـا بصحبة تلكم الفرقة الناجية:

فَعَـذْبُ شَـرَابِها يروي غَليلي ! وَبَرْدُ ظلالِهـا يَشْـفِي أُوَامِـي !
تَمَـازَجَ حُبُّها بدَمِي وَلَحْمِـي وَمُخِّـي ثـم خَيَّـمَ في عِظامِـي !

ورحم الله جريرَ بن عبد الله؛ فقد قال أنس بن مالك خـادم رسـول الله ﷺ: (خرجتُ مع جرير بن عبد الله البجليّ في سفر، فكان يخدمني، فقلتُ له: لا تفعلْ؛ فقال: إنّي قد رأيتُ الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شـيئاً آليـتُ أن لا أصحبَ واحداً منهم إلا خدمتُه)، قال النووي رحمـه الله: "في حـديث جرير بن عبد الله وخدمته لأنس؛ إكراماً للأنصار دليـلٌ لإكـرام المحسـن والمنتسب إليه وإن كان أصغرَ سنّاً، وفيه تواضعُ جرير وفضيلته وإكرامه للنبي ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ"![2].

عُجْ بالعقيقِ وقِفْ بذات الأَجْرَعِ ! وَأَنِخْ مَطيَّكَ بالعُـذَيْبِ ولَعْلَـعِ !
وَانْزِلْ منىً فهناكَ قـد بَلَغَ المُنَـى قَـومٌ وفَـازوا بالمقَـامِ الأرْفَعِ !
واذْكرْ هُناكَ تشوُّقي وتَشَـوُّفي وتَلَهُّفِـي وَتَـولُّعِـي وتوجُّـعِي !
واسْـأَلْ أُهَيْلَ الحَيَّ عن قلبي فَمُذْ فارقتُ طيبةَ لم أَجِـدْ قلبي معِـي !

ومن هذا الباب كذلك قولُ عمر رضي الله عنه لعديّ بن حاتم الطائي: (إنّ أوّلَ صدقةٍ بيّضتْ وجهَ رسولِ الله ﷺ ووجوهَ أصحابه صدقةُ طيءٍ؛ جئتَ بهـا إلى رسول الله ﷺ)[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٧٣.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/٧٠.

(٣) المرجع السابق ١٦/٧٧.

[٧] ومن علامة حبّ النبي ﷺ الحرص على التمسّك بهديه، وتحمُّل الأذى في سبيله:

وقد قال البدر العيني في شرح: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ): "المراد من الحديث بذلُ النفس دونه ﷺ"(١).

وقال القسطلاني رحمه الله:"من علامات هذه المحبّة: نصرُ دين الإسلام بالقول والفعل، والذبّ عن الشريعة المقدَّسة، والتخلّق بأخلاق الرسول ﷺ في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع؛ فمن جاهد نفسَه في ذلك وجد حلاوةَ الإيمان؛ ومن وجدها استلذّ الطاعات، وتحمّل في الدّين المشقّات؛ بل ربّما يلتذّ بكثيرٍ من المؤلمات!"(٢). وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

ما الحُبَّ إلاّ لقومٍ يُعْرَفون به ... قد مارسوا الحُبَّ حتى هان مُعْظَمُهُ
عَذَابُهُ عِندَهُمْ عَذبٌ وظُلْمَتُهُ ... نورٌ ومَغْرَمُهُ - بالراء - مَغْنَمُهُ

ورحم الله أمَّنا عائشة حبيبةَ رسول الله ﷺ؛ فقد روى عروة بن الزبير أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ كَانَ مِمَّنْ كَثَّرَ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَبَبْتُهُ؛ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي لَقَدْ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، قال النووي: "أي: يُدافع ويُناضل"(٣). وفي روايةٍ: (كَانَ يَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)!(٤).

---

(١) عمدة القاري ١/١٤٤.

(٢) إرشاد الساري ١/١٠٤.

(٣) شرح النووي ١٦/٤٦.

(٤) المرجع السابق ١٦/٤٧.

ويدخل في هذا الباب جرأةُ كثيرٍ من علمائنا على نصح ولاة الأمـر؛ فقد أنكر ابن مسعود على عثمان ـــ رضي الله عنهما ـــ إتمام أربع ركعات في منى، كما روى مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد قال: (صَلَّى بِنَا عُثْمَـانُ بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَات. فَقِيلَ ذَلِكَ لِعَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود فَاسْتَرْجَعَ، ثُـمَّ قَـالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبي بَكْـرٍ الصِّـدِّيقِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ)![1].

وروى البخاري في كتاب الاعتصام عن شيبان بن عثمان بن طلحة أن عمر قال له: (هَمَمْتُ أَنْ لا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلا بَيْضَاءَ إلاَّ قَسَـمْتُهَا بَـيْنَ الْمُسْلمينَ، قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ؟ قَالَ: لِمَ؟ قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ! قَالَ: هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا!)[2].

وقد افتتح البخاري كتاب (مواقيت الصلاة) بإنكار عروة بن الـزبير على الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز حين أَخَّرَ الصَّلاةَ يَوْمًا؛ فَقَدْ دَخَـلَ عَلَيْه عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلاةَ يَوْمًـا وَهُـوَ بِالْكُوفَة؛ فَدَخَلَ عَلَيْه أَبُو مَسْعُود الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغيرَةُ؟ أَلَيْسَ قَدْ عَلمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ ـــ يكررهـا خمـس مرات ـــ وقال في آخر حديثه: وَلَقَدْ حَدَّثَتْني عَائشَـةُ زَوْجُ النَّبِـيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ"[3].

---

(١) المرجع السابق، ٥/٢٠٤.

(٢) فتح الباري، ١٥/١٧٤.

(٣) المرجع السابق، ٢/١٨٢.

وكذلك شأن أنس رضي الله عنه كما قال أبو أمامة بن سهل في الصحيحين: "صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الظُّهْرَ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِك فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ؛ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَا هَذِهِ الصَّلاةُ الَّتِي صَلَّيْتَ؟ قَالَ: الْعَصْرُ، وَهَذِهِ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كُنَّا نُصَلِّي مَعَهُ"[1].

وقد روى البخاري في (مواقيت الصلاة) باب (تضييع الصلاة عن وقتها) عن الزهري قال: (دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِك بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: لا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلاَّ هَذِهِ الصَّلاةَ وَهَذِهِ الصَّلاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ)[2].

[٨] ومن علامات حبّ النبي ﷺ النصح لأمة محمد ﷺ.

قال عياض - رحمه الله -: "ومن علامة حبِّه شفقتُه على أمّته، ونصحُه لهم، وسعيُه في مصالحهم، ورفعُ المضارّ عنهم؛ كما كان رسول الله ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً!"[3].

وقال النووي رحمه الله في شرح حديث: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ): "وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيّاً وميتاً، ومعاداة من عاداه وموالاة من

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب (وقت العصر) فتح الباري، ٢١٢/٢، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (استحباب التكبير بالعصر)، شرح النووي، ١٢٣/٥.

(٢) فتح الباري، ١٩٥/٢.

(٣) الشفا ٥٧٧/٢.

والاه، وإعظام حقّه وتوقيره، وإحياء طريقته وسننه، وبثّ دعوتـه، ونشـر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والـدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتـأدب عنـد قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلّق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبّة أهل بيته وأصحابه، ومجانبـة مـن ابتدع في سنته أو تعرّض لأحد من أصحابه ونحو ذلك"[١].

وقد كان لأهل القرون الأولى نَفْرَةٌ من مخالفة السنة، ونُصْرَةٌ لإخوانهم بالنصيحة والنهي عن الابتداع، فقد روى مسلم أنّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ كَانَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)، فَقَالَ بُشَيْرُ بْـنُ كَعْبٍ: "إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةً". فَقَالَ عِمْرَانُ: "أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ؟"، وفي رواية: فقـال بشير: "إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ ـ أَوِ الْحِكْمَةِ ـ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَـارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ" قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ؟"[٢].

وروى مسلم قول الزهري لعروة: "ما بال عائشة تتم في السفر؟" قال: "إنها تأولت كما تأول عثمان"، قال النووي: "رأيا القصر جـائزاً والإتمـام جائزاً؛ فأخذا بأحد الجائزين"[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢ / ٣٨ – ٣٩.

(٢) شرح النووي، ٢/٧٠٦.

(٣) المرجع السابق، ٥/١٩٥.

[٩] ومن علامة محبّة النبي ﷺ "زهدُ مدّعيها في الدنيا، وإيثارُه الفقرَ واتصافَه به"[١]:

وقد اتفق الشراح على أنّ ذكر (الوالد والولد) في الحديث؛ لأنهما "أدخل في المعنى من النفس؛ لأنهما أعزّ على العاقل من الأهل والمال، بل أعزّ من نفس الرجل على الرجل"[٢]، ولله درّ القسطلاني حيث قال: "القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يذوق طعم الإيمان ويتنعّم به كما يذوق الفم طعم العسل، ولا يذوق ذلك ولا يتنعّم به إلاّ (من كان الله ورسوله أحبَّ إليهما مما سواهما) من نفسٍ، وولدٍ، ووالدٍ، وأهلٍ، ومالٍ وكل شيء!"[٣].

أَدرْ أحاديثَ سَلْع والحِمى أَدرِ ... والْهَجْ بِذِكْرِ اللّوى أو بانِه العطِرِ!

واذْكُرْ نسيمَ المُنْحَنى سَحَراً ... لمّا يُمرَّ على الأزهار والغُدُر!

ويا سحائبُ أغنَى عنكِ نائلُهُ ... فاسْقِ المواطرَ حيّاً من بني المطر!

ما سرتُ إلاّ وطَيْفٌ منكَ يصحبُني ... سُرى أمامي وتثوياً على أثري!

---

(١) الشفا، ٢/٥٧٧.

(٢) فتح الباري ١/٨٥، وعمدة القاري ١/١٤٤، إرشاد الساري ١/٩٦ بألفاظ متقاربة.

(٣) إرشاد الساري ١/١٠٤.

[١٠] ومن علامات محبّة النبي ﷺ التعلّق بآثاره ﷺ،وإعظامُ جميع أسبابه، وإكرامُ مشاهده وأمكنته من مكّة والمدينة ومعاهده وما لمسه ﷺ أو عُرف به (١):

ورحم الله عياضاً ما أحسنَ قولَه:"جديرٌ لمـواطنَ عُمِّـرتْ بـالوحي والتزيل، وتردّد بها جبريل وميكائيل، وعرجتْ منها الملائكـة والـروح، واشتملتْ تربتها على جسد سيّد البشر، وانتشر عنها من ديـن الله وسـنّة رسوله ما انتشر: مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشـاهد الفضـائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيّد المرسلين، ومتبوَّأ خاتم النبيّين، حيث انفجرت النبوّة، وأيـن فاض عُبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرضٍ مسّ جلدَ المصطفى ترابُها: أن تُعظَّم عرصاتها، وتُتنسَّم نفحاتُها، وتُقبَّل ربوعها وجدرانها:

يا دارَ خيرِ المرسـلين ومن به ... هُـديَ الأنـامُ وخُـصَّ بالآيـاتِ
عندي لأجلك لوعـةٌ وصبابةٌ ... وتشـوُّقٌ متوقِّـد الجمـراتِ !
وعليَّ عهدٌ إن ملأتُ محـاجري ... مـن تلكم الجدرانِ والعرصـاتِ !
لأعفِّرنَّ مَصونَ شـيبي بينهـا ... من كثـرة التقبيل والرشفاتِ !"(٢)

(١) الشفا ٢/٦١٩.

(٢) المرجع السابق ٢/٦٢٢-٦٢٤.

خاتمة الكتاب

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين "بدر التمام، ونور الظلام، ومِسْكِ الختام"![1].

وبعد؛ فالحمد لله على بلوغ المقصود وحصول الموعُود:

وقد وفيتُ بما قـــد رُمتُ مُنْتَهياً   فالحمد لله إذ مـــا رُمتُـهُ كمـــلا![2]

وقد رغبتُ في هذا الكتاب إلى تحقيق أهداف أربعة:

أولاً: تذكير المسلمين بحقوق نبيِّهم ﷺ عليهم، وتشويقهم إلى محبّتـه وزيارتِه، وحثّهم على تعظيمه وتوقيره والصلاة عليه؛ كما قال تعـالى:﴿**إنَّ اللَّهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَـلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[3].

ثانياً: ربط محبّة النبي ﷺ بأبعادها الإيمانيّة، وذلك في(الأسس العقديّـة لحُبِّ النبي ﷺ).

(١) هذه الكلمات المباركة للشيخ الداعية عطيّة محمد سعيد، أثبتها له في حُبِّ النبي ﷺ ؛ براً بـه! ولقد شهدْته - والله ثالثنا - يذكر حديث حوض النبي ﷺ : (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ؛ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ؛ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؛ فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ!). فيبكي، ويقول كما يقول ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْـتَنَ عَــنْ دِينِنَـا". فـتح البـاري، ٢٩٧/١٣، وشرح النووي على مسلم، ٥٥/١٥.

(٢) من خاتمة لاميّة الأفعال لابن مالك. انظرْ شرح ولده بدر الدِّين ص ٥٩. طبعة ١٣٦٧ هـ.

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

ثالثاً: إعطاء (حُبِّ النبيِّ ﷺ) دلالاته العلميّة الواسعة؛ من خلال بيـان الثمرات النفسيّة والاجتماعيّة لِحُبِّ النبيِّ ﷺ. وذلك في (حقيقـة) هـذا الحُبِّ، و(علاماته).

رابعاً: تأكِيد العلاقة الوطيدة بين (حُبِّ النبي ﷺ) و(إحياء سُنَّتِه ﷺ)؛ فإنهما صنوان لا يفترقان، وشِقّانِ لا ينفصلان! ولله درُّ من قال:

إنَّ المُحِبَّ إذا أحبَّ حبيبـهُ ... صَـدَقَ الصَّفـاءَ وأنْجَزَ المَوْعُودا !

وقد اعتمدتُ على الله عز وجل في اجتناب طَرَفَيْ الإفراط والتفريط؛ ورحم الله العلامة مُحدِّث الدنيا عبد الحيِّ الكتَّاني حيث قـال في ترجمـة شيخه محمد المكيِّ بن عزُّوز[1] من (فهرس الفهارس)[2]: "أعجبُ ما كـان فيه الهيام بالأثر والدّعوة إلى السُّنّة؛ مع كَوْنِه كان شيخ طريقة ومن المطَّلعين على الأفكار العصرية! وهذه نادرةٌ من النوادر في زماننا هذا الذي كَثُرَ فيـه الإفراطُ والتفريطُ، وقَلَّ مَنْ يسلك فيه طريقُ الوسط والأخذ من كل شـيءٍ بأحسنه، عاملاً على قول الله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا**﴾"![3].

وبعد؛ فوالله ليس لي فيما جمعتُ من فضلٍ ولو قيد أنملة؛ فإنما هـي أقوال أهل العلم أجمعها، وأحوال أهل المعرفة أنقلها "لا أدَّعِي فيها دعـوى: فأقول: شافهتُ أو سمعتُ، أو فعلتُ أو صنعتُ، أو شددتُ أو رحلتُ!"[4].

---

(١) وهو من علماء تونس، وقد توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٣٤هـ.

(٢) فهرس الفهارس والأثبات، للشيخ عبد الحي الكتاني، ٨٥٦/٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٤٥).

(٤) لسان العرب ٨/١. دار صادر. بيروت. ط٦. ١٤١٧ هـ.

وقد ترجم البخاري في كتاب العلم (باب قول النبي ﷺ: رُبَّ مُبَلَّـغٍ أوعى من سامع)![1].

فما كان في هذا الكتاب من نقصٍ؛ فمِن نفسي ومن جُنْدِ إبليس، وما كان فيه من خيرٍ وبركةٍ؛ فمن الله الملك القدُّوس، ثم توفيقــه إلى صــحبة العلماء (البُزْل القناعيس)[2] وأنفاس الأولياء الذين لا يشقى بهم الجليس!

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبِهِ ومن والاه[3].

الخرطوم ، يوم الاثنين السادس من شــعبان ســنة ١٤٢٥ مــن هجــرة المصــطفى ﷺ الموافق ٢٠/٩/٢٠٠٤م .

---

(١) فتح الباري، ١/٢١٣..

(٢) إشارة إلى قول سفيان بن عُيينة مفضّلاً مالك بن أنس على نفسه:

وابن اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ في قرنٍ　　　لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس!

(٣) وإنّي إذ يسّر الله تعالى عَلَيَّ إتمامَ هذا الكتاب بعونِهِ وفضلِهِ ومنِّهِ أسـألُه تعـالى أن يُبـارِكَ في شيوخي العلماء الذين حبّبوا إليَّ العلمَ والكتابةَ؛ والشكر والعرفان إلى سيّدي شيخ الإســلام الفقيه اللّغويّ الأديب محمد علي الطريفي الذي أملى عليَّ بين يدَيْ مراجعته الكتابَ نفائسَ من العلم المبارك ودُرَراً من المعرفة. أسأل الله العظيمَ ربَّ العرش الكــريم أن يرحمــهُ رحمــةً واسعةً وأن ينفعني ووالديَّ وشيوخي وإخواني، وأن يُبارك أعمالَنا ويُنوِّر قلوبَنــا وقبورَنــا، ويكتب لنا النجاة يوم ينفع الصادقين صدقُهم. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

فهرس الموضوعات

قال القاضي عياض: "جديرٌ لمواطنَ عُمِّرتْ بالوحي والتنزيل، وتردّد بها جبريل وميكائيل، وعرجتْ منها الملائكة والروح، واشتملتْ تربتُها على جسدِ سيّدِ البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنّة رسوله ما انتشر: مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيّد المرسلين، ومتبوَّأ خاتم النبيّين، حيث انفجرت النبوّة، وأين فاض عُبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأوّل أرض مَسّ جِلْدَ المصطفى ترابُها؛ أن تُعظَّمَ عَرَصاتُها، وتُتنسَّمَ نفحاتُها، وتُقبَّلَ رُبوعُها وجُدرانُها؛

يا دارَ خيرِ المرسلينَ ومَنْ بهِ
هُدِيَ الأنامُ وخُصَّ بالآياتِ!
عِنْدِي لأجلِكِ لَوْعَةٌ وصَبابةٌ
وتَشَوُّقٌ متوقِّدُ الجَمَراتِ!
وعليَّ عهدٌ إنْ ملأتُ مَحاجري
مِن تِلْكُمُ الجُدرانِ والعَرَصاتِ!
لأعفِّرنَّ مَصونَ شيبي بينها
مِن كثرةِ التقبيلِ والرشفاتِ!"

الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٦٢٢-٦٢٤